فَـإِذَا تَـتَـوَّجَ كُـنْـتَ دُرَّةَ تَـاجِـهِ،
وَإِذَا تَـخَـتَّـمَ كُـنْـتَ فَـصَّ الْـخَـاتِـمِ (١)
وَإِذَا ٱنْـتَـضَـاكَ عَـلَـى الْـعِـدَى فِـي مَـعْـرَكٍ
هَـلَـكُـوا وَضَـاقَـتْ كَـفُّـهُ بِـٱلْـقَـائِـمِ (٢)
أَبَـدَى سَـخَـاؤُكَ عَـجْـزَ كُـلِّ مُـشَـمِّـرٍ
فِـي وَصْـفِـهِ وَأَضَـاقَ ذَرْعَ الْـكَـاتِـمِ (٣)

لا رزق إلا من يمينك

أمر سيف الدولة غلمانه أن يلبسوا وقصد ميافارقين في خمسة آلاف من الجند وألفين من غلمانه ليزور قبر والدته وذلك في شوال سنة ثمان وثلاثين وثلاث مئة (٩٤٩م) فقال:

[الطويل]

إِذَا كَـانَ مَـدْحٌ فَـالـنَّـسِـيـبُ الـمُـقَـدَّمُ
أَكُـلُّ فَـصِـيـحٍ قَـالَ شِـعْـراً مُـتَـيَّـمُ (٤)

= الحقيقة عندما لقّب الممدوح بلقب سيف الدولة، فقد اختبر ما لديه من سلاح فعّال لدفع البلاء فلم يجد أفضل من الممدوح في محاربة أعداء دولته، فكان أن مَنّ عليه بما يستحقّه إنه سيف بتّار لا يكلّ ولا يفلّ في محاربة كلّ عدوّ.

(١) تتوّج: وضع التاج على رأسه. تختّم: وضع الخاتم بإصبعه. ويُتابع الشاعر منوّهاً بحاجة الخليفة إلى ممدوحه، إنه التاج المفضل لدى الخليفة، لذا فإنه يُزيّن ويتوّج رأسه به ويتختم أيضاً به، لذا فهو علامة فارقة تميّز الخليفة به، ومصدر اعتزازه.

(٢) انتضاك: استلّك. قائم السيف: مقبضه. يُخاطب الشاعر الأمير، إنه سيف الخليفة يستلّه ليقضي على عدوّه ويُؤدي مهمته ببسالة وشجاعة، فإذا بالعدوّ يتهاوى تحت ضرباته، ولثقل سيف كهذا تضيق كفّ الخليفة بحمله، فهو من العيار الثقيل، لا يُستعمل إلّا في حالات الحرج للدفاع عن الخلافة فقط.

(٣) السخاء: الكرم. المشمّر: المجتهد. ومن معجزات الأمير أن جوده أعجز الشعراء أن يعدّدوا فنون العطاء لديه، لذا فقد لزموا السكوت عن ذلك لئلّا يُقصّروا في إعطائه حقّه، أو لئلّا يُكتشف تقصيرهم، فمهما جهدوا فلن يُفلحوا أبداً بإيفائه حقّه.

(٤) ورد البيت في: الوساطة بين المتنبي وخصومه: ١٥٨. النسيب: التشبيب بالنساء، أي الغزل بهن. المتيّم: من استعبده الحبّ. يُبدي الشاعر موقفاً نقدياً للشعراء، وهو =

لَـحُـبُّ ٱبْـنِ عَـبْـدِ ٱللَّـهِ أَوْلَـى فَـإِنَّـهُ
بِـهِ يُـبْـدَأُ الـذِّكْـرُ الْـجَـمِـيـلُ وَيُـخْـتَـمُ (١)
أَطَـعْـتُ الْـغَـوَانِـي قَـبْـلَ مَـطْـمَـحِ نَـاظِـرِي
إِلـى مَـنْـظَـرٍ يَـصْـغُـرْنَ عَـنْـهُ وَيَـعْـظُـمُ (٢)
تَـعَـرَّضَ سَـيْـفُ الـدَّوْلَـةِ الـدَّهْـرَ كُـلَّـهُ
يُـطَـبِّـقُ فـي أَوْصَـالِـهِ وَيُـصَـمِّـمُ (٣)
فَـجَـازَ لَـهُ حَـتَّـى عَـلَـى الـشَّـمْـسِ حُـكْـمُـهُ
وَبَـانَ لَـهُ حَـتَّـى عَـلَـى الْـبَـدْرِ مَـيْـسَـمُ (٤)
كَـأَنَّ الْـعِـدَى فـي أَرْضِـهِـمْ خُـلَـفَـاؤُهُ؛
فَـإِنْ شَـاءَ حَـازُوهَـا وَإِنْ شَـاءَ سَـلَّـمُـوا (٥)

= واحد منهم، فقد اعتادوا على التغزل بمحبوبة وهميّة وبالوقوف على الأطلال في قصائدهم المدحيّة، لذا فمن المؤكد أنه ليس كلّ شاعر قد تيّمه الحبّ واستعبده وملك عليه قلبه.

(١) لذا فحب سيف الدولة قد ملك على الشاعر مشاعره، فجعله ينسى جنس المرأة ويقصر حبّه على من يُبدي كلّ مكرمة، فذكره الجميل يحمله على التعلّق به والإشادة بما يمثّله من مكارم الأخلاق والجود، لذا فهو أولى بإشادة ذكره ممن عداه.

(٢) الغواني، الواحدة غانية، وهي التي اغتنت بجمالها عمَّا سواه. يتحدّث الشاعر عن رحلاته مع جنس المرأة، لقد عمد إلى التشبيب بها في مطالع قصائده، لأنها كانت شغله، وخلال ذلك كان دائم البحث عمّن يُرضي خياله من الملوك والأمراء حتى وقع أخيراً على المثال مجسّداً بسيف الدولة، لذا قصر كلّ اهتمامه بمن يشبع توثّب تطلّعه من يمثل مثله العليا.

(٣) و (٤) تعرّض: تصدّى. يطبق: يصيب المفصل. يصمّم: يمضي في العظم ويقطعه. الميسم: ظاهرة الجمال في المرء. يذكر الشاعر إنجازات سيف الدولة؛ فكان صراع بينه وبين الدهر، خرج منه منتصراً، فإذا بالدهر يكون طوع إرادته يأتمر بأمره، ويفعل به ما يشاء بإرادة سيف يقطّع أوصاله كما يحلو له، بل إنه تمكّن حكمه من الشمس التي تعمّ الكون بضيائها ودفئها، ولقد فاق حسن جماله على هالة القمر، وما يُمثّله من أنس ورقّة وجمال. تلك هي المغالاة التي يعمد إليها الشاعر في مدحه لمعظم ممدوحيه بأنهم يسيّرون مظاهر الكون المختلفة بإرادتهم.

(٥) ورد البيت في: الوساطة بين المتنبي وخصومه: ١٧٠. تتمثل قوّة سلطة الأمير بإرادة =

وَلَا كُتُبَ إِلَّا الْمَشْرَفِيَّةُ عِنْدَهُ
وَلَا رُسُلٌ إِلَّا الْخَمِيسُ الْعَرَمْرَمُ(١)
فَلَمْ يَخْلُ مِنْ نَصْرٍ لَهُ مَنْ لَهُ يَدٌ،
وَلَمْ يَخْلُ مِنْ شُكْرٍ لَهُ مَنْ لَهُ فَمُ(٢)
وَلَمْ يَخْلُ مِنْ أَسْمَائِهِ عُودُ مِنْبَرٍ
وَلَمْ يَخْلُ دِينَارٌ وَلَمْ يَخْلُ دِرْهَمُ(٣)
ضَرُوبٌ وَمَا بَيْنَ الْحُسَامَيْنِ ضَيِّقٌ
بَصِيرٌ وَمَا بَيْنَ الشُّجَاعَيْنِ مُظْلِمُ(٤)
تُبَارِي نُجُومَ الْقَذْفِ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ
نُجُومٌ لَهُ مِنْهُنَّ وَرْدٌ وَأَدْهَمُ(٥)

= فوقية، فإن أحبّ أن يُبقي أعداءه من ملوك الروم على عروشهم فعل، وإن لم يرغب في ذلك نحّاهم بقوّته فعزل من عزل وقتل من قتل، والكلّ محكوم بإرادته في كل حال.

(١) المشرفية: السيوف. الخميس: الجيش المؤلف من فرق خمسة. العرمرم: الكثير العدد. يُنوّه الشاعر بقوّة الأمير، فرسائله إلى أعدائه سريعة عمادها السيوف القواطع والجيش العظيم عدداً وعدّة، إنه أسرع وسيلة من الرسائل التي تأخذ وقتاً طويلاً ولذا كانت أفعل في قلوب أعدائه فيستسلمون لإرادته وينزلون عند رغبته وحكمه.

(٢) من طبيعة البشر أنهم يد مع المنتصر يتطوّعون إلى جانبه، لأنهم ينتصرون بنصره، ويتقوّون به، وهذا ما جعل الكثيرين ينضوون تحت لوائه ويكونون عوناً على أعدائه؛ وهو لكرمه وجوده وإحسانه لهجت الألسنة بالدعاء له والإشادة بأعماله العظيمة.

(٣) ولقد انتشر صيت إنجازات الأمير في البلاد، فإذا بالخطباء على منابرهم يُشيدون به ويمتدحون أعماله، وما يُمثل امتداد سلطانه في البلاد أن الدنانير والدراهم تُزين باسمه، وذلك راجع إلى غناه وقوّة سلطانه إلى جانب سلطان الخليفة العباسي.

(٤) يردف الشاعر متحدّثاً عن الأمير بأنه يُجيد القتال في حال اشتداده وتلاحم الخصمين بسيفيهما، والغبار قد حجب أشعة الشمس، وقد أظلمت الدنيا عليهما، فإذا بسيف الأمير قد سطع وقد غطته دماء الخصم، والخصم يشخب دماً.

(٥) تُباري: تسابق في نفس العمل. نجوم القذف: الشهب التي تُرمى بها الشياطين. =

يَـطَـأْنَ مِـنَ الأَبْـطَـالِ مَـنْ لَا حَـمَـلْـنَـهُ،
وَمِـنْ قِـصَـدِ الـمُـرَّانِ مَـا لَا يُـقَـوَّمُ[١]
فَـهُـنَّ مَـعَ الـسِّـيـدَانِ فـي الْـبَـرِّ عُـسَّـلٌ
وَهُـنَّ مَـعَ الـنِّـيـنَـانِ فـي الـمَـاءِ عُـوَّمُ[٢]
وَهُـنَّ مَـعَ الْـغِـزلَانِ فـي الْـوَادِ كُـمَّـنٌ،
وَهُـنَّ مَـعَ الْـعِـقْـبَـانِ فـي الـنِّـيـقِ حُـوَّمُ[٣]

= نجوم الأمير: خيوله. الورد: الحصان ما بين الأشقر والكميت. يصف الشاعر فرسان الأمير إنهم نجوم تتلألأ ضياءً، فالسيوف لديهم تتهاوى على رؤوس الأعداء كأنها شواظ من نار تلهب أجسادهم وتُودي بأرواحهم إلى النار، والخيول ما بين ورد وأدهم ولديهم تمرق كالسهام بسرعة البرق كأنها كواكب بضيائها في ليل حالك السواد.

(١) القِصد الواحدة قصدة: قطع الرماح إذا انكسرت. المران، الواحد مارن: الرماح الليّنة. يصف الشاعر تدفّق فرسان الأمير أثناء المعركة، فالخيل تطأ أجساد الأبطال القتلى لكثرتهم وقد غطّوا الأرض، فالرماح ما عادت لتمنع عنهم الموت وقد تكسّرت وتبعثرت في وسط المعركة، والليّن منها انطرح أرضاً مستسلماً لمصير بئيس، أما خيول القتلى من الأعداء، فقد استسلمت بدورها إلى الهزيمة، فإذا بها تقف كسيرة البال، آسفة على فرسانها، وكأنها في لحظة تأمّل بغرابة الموقف.

(٢) السيدان، الواحد سيد: الذئاب. عسل، الواحد عاسل: ضرب من عدو الذئاب وهو ما بين الإسراع والاضطراب. النينان، الواحد نون: الحيتان. يُردف الشاعر وصف ما كانت عليه خيول الأمير، إنها سريعة على اليابسة، وكأنها ذئاب تسابق الريح من كلّ مكان، وهي في البحر حيتان تمخر عباب اليمّ سريعة مرعبة، لا تعرف للخوف معنى.

(٣) الكمّن: مختبئات. العقبان، الواحد عُقاب: من الطيور الكاسرة. النيق: ذروة الجبل. الحوّم، الواحد حائم: الدائر في طيرانه. يُتابع الشاعر وصف ما كانت عليه خيول الأمير، إنها تختبئ في الأودية تتربّص بالأعداء لتُفاجئهم، وحتى لو كانوا يتمركزون في قمم الجبال، فإنها تحوم كأنها طيور كاسرة وعقبان سريعة الطيران والانقضاض، فلا يفلت عدوّ من قبضة الأمير لمضاء عزيمته وإصراره على القضاء على أعدائه، سواءٌ اتخذوا من الأودية ملجأً لهم أو من الجبال تحصيناً لهم، فهم في كلّ حال غنيمة سهلة تقع بين يديه.

إذا جَلَبَ النَّاسُ الْوَشِيجَ فإنَّهُ
بِهِنَّ وَفي لَبَّاتِهِنَّ يُحَطَّمُ[١]
بِغُرَّتِهِ في الْحَرْبِ وَالسِّلْمِ وَالْحِجَى،
وَبَذْلِ اللُّهَى وَالْحَمْدِ وَالمَجْدِ مُعْلِمُ[٢]
يُقِرُّ لَهُ بِالْفَضْلِ مَنْ لَا يَوَدُّهُ،
وَيَقْضِي لَهُ بِالسَّعْدِ مَنْ لَا يُنَجِّمُ[٣]
أَجَارَ عَلَى الأَيَّامِ حَتَّى ظَنَنْتُهُ
تُطَالِبُهُ بِالرَّدِّ عَادٌ وَجُرْهُمُ[٤]
ضَلَالاً لِهَذِي الرِّيحِ مَاذَا تُرِيدُهُ
وَهَدْياً لِهٰذَا السَّيْلِ مَاذَا يُؤَمِّمُ[٥]

(١) الوشيج: شجر الرماح. اللبات، الواحدة لبّة: أعلى الصدر. يردف الشاعر وصف شدّة بأس الأمير وجيشه؛ فإن فرسانه يتلقّون الرماح بصدورهم ممّا يدلّ على شجاعتهم واستبسالهم، فتتكسر دونهم لأنها من شجر الوشيج، كما أنها تتكسر بأجناد الأعداء لشدّة طعن فرسان الأمير لأعدائهم.

(٢) الغرة: ما يبدو من الوجه. الحجى: العقل. اللهى: الواحدة لهية: الهبات. المُعلم: من أراد أن يتميّز في الحرب بعلامة يمتاز بها عمّن سواه ليعرف. يصف الشاعر ممدوحه وهو يُقاتل، إنه يُعرف من غرّته ونظرة وجهه في ميادين القتال، كما أنه يُعرف بقوّة عقله وذكائه المفرط، فضلاً عن جود لا يُوصف لعظمه ولا يُقارن بسواه، لذا فهو محمود في أفعاله التي تتّسم بالسمو والرفعة في كلّ حال.

(٣) ورد البيت في: دلائل الإعجاز، للجرجاني: ٣٧٦. يودّ: يُحبّ. ولشهامة الأمير في حروبه مع أعدائه يقرّون له بالفضل وسموّ أخلاقه ونبلها، ولدوام توفيقه في شتّى أعماله جعل الناس يحكمون له بطالع السعد الدائم وإن لم يكونوا ممَّن يتعاملون بالتنجيم.

(٤) يُشيد الشاعر بأريحية وحميَّة الأمير، إنه نعم المعين في الملمات ونزول الكوارث بالناس، فإذا به يهبّ لمساعدتهم وإقالتهم من عثراتهم فترتد إليهم أرواحهم، حتى إن عاداً وجرهماً توّدان من الأمير أن يُعيدهما إلى الحياة وقد طوتهم الأرض في أحضانها، وتوالت عليهم الدهور بأزمانها.

(٥) يدعو الشاعر بأن يضلّ الريح لمحاولته إعاقة جيوش الأمير في تقدّمهم ليُدركوا =

أَلَـمْ يَـسْـأَلِ الْـوَبْـلُ الَّـذِي رَامَ ثَـنْـيَـنَـا
فَـيُـخْـبِـرَهُ عَـنْـكَ الْـحَـدِيـدُ الـمُـثَـلَّـمُ[١]
وَلَـمَّـا تَـلَـقَّـاكَ الـسَّـحـابُ بِـصَـوْبِـهِ
تَـلَـقَّـاهُ أَعْـلَـى مِـنْـهُ كَـعْـبـاً وَأَكْـرَمُ[٢]
فَـبَـاشَـرَ وَجْـهـاً طَـالـمَـا بَـاشَـرَ الْـقَـنَـا
وَبَـلَّ ثِـيَـابـاً طَـالـمَـا بَـلَّـهَـا الـدَّمُ[٣]
تَـلَاكَ وَبَـعْـضُ الْـغَـيْـثِ يَـتْـبَـعُ بَـعْـضَـهُ
مِـنَ الـشَّـأْمِ يَـتْـلُـو الْـحَـاذِقَ الـمُـتَـعَـلِّـمُ[٤]

= أعداءهم، حتى لا يُثنيهم ذلك عن أهدافهم، كما أنه دعا للسيل بالهداية، لأنه سرّ الغنى للبشر فيُوجّه حيث يُصلح أحوالهم، وهو كريم كالممدوح يُفيض عطاياه على العُفاة والأولياء سواء بسواء، فلا يستثني أحداً من جوده.

(١) الوبل: المطر الغزير. ثنينا: صرفنا. يُخاطب الشاعر ممدوحه مستغرباً أن الأمطار الغزيرة التي هطلت وأعاقت الجيش في مهمته وحالت دون تقدّمه ألم تسأل الأمير عن سبب حملته لكانت الإجابة من سيوف جيشه التي ثلّمها كثرة مقارعته الأعداء، وأن لا شيء يحول دون مقاصد الأمير، لا الأمطار ولا سواها من معوّقات تمنعه عن بلوغ مقصده، لعزمه الأكيد وإرادته القويّة.

(٢) الصوب: انسكاب المطر بغزارة. يُردف الشاعر حديثه منوّهاً بعلوّ كعب ممدوحه في الكرم، فقد كان ردّه على المطر المنهمر بغزارة الذي استقبله ردًّا ينمّ عن سموّ وجود لدى الممدوح أعلى ممَّا يتمثّل به المطر.

(٣) باشر العمل: تولّاه بنفسه، القنا: الرماح. يُردف الشاعر أن تلك الأمطار التي تلقّت الأمير وباشرت وجهه فلم تثنه عمَّا عزم عليه، فطالما باشر ذلك الوجه رماحاً تبغي هلكته فتلقَّاها بقلب صلب وعزيمة قويَّة فلم تنل منه، وأما تلك الأثواب التي بلّلها المطر، فقد كستها دماء الأعداء بلونها الأرجواني، لذا فالأمطار لا تردعه عمَّا أراد فعله.

(٤) تلاك: لحق بك. يُتابع الشاعر فكرته؛ لقد تبعك المطر الغزير علّه يتعلّم من الممدوح الفنون العظيمة في الجود، فالمطر يلحق مطراً مثله ليستفيد من علمه وحذقه في ما يشتركان به.

فَـزَارَ الَّـتـي زَارَتْ بِـكَ ٱلْـخَـيْـلُ قَـبْـرَهَـا
وَجَـشَّـمَـهُ الـشَّـوْقُ الَّـذِي تَـتَـجَـشَّـمُ(١)
وَلَـمَّـا عَـرَضْـتَ ٱلْـجَـيْـشَ كَـانَ بَـهَـاؤُهُ
عَـلَـى الْـفَـارِسِ الْـمُـرْخَـى الـذُّؤَابَـةِ مِـنْـهُـمُ(٢)
حَـوَالَـيْـهِ بَـحْـرٌ لِـلـتَّـجَـافِـيـفَ مَـائِـجٌ
يَـسِـيـرُ بـهِ طَـرْدٌ مِـنَ الْـخَـيْـلِ أَيْـهَـمُ(٣)
تَـسَـاوَتْ بِـهِ الْأَقْـطَـارُ حَـتّـى كَـأَنَّـهُ
يُـجَـمِّـعُ أَشْـتَـاتَ الـجِـبَـالِ وَيَـنْـظِـمُ(٤)
وَكُـلُّ فَـتًـى لِـلْـحَـرْبِ فَـوْقَ جَـبِـيـنِـهِ
مِـنَ الـضَّـرْبِ سَـطْـرٌ بِـالْأَسِـنَّـةِ مُـعْـجَـمُ(٥)

---

(١) جشمه: كلّفه، يُخاطب الشاعر ممدوحه بأن المطر زار قبر والدته للتّبرّك وشدّة شوقه إليها، فكان اللقاء بينهما وبين القبر لقاءً حميماً رغم ما تجشّم كلّ منهما من مشقّات.

(٢) الذؤابة: ما أرسل من طرف العمامة بعد تكويرها. البهاء: الجمال. من عادة القائد أن يستعرض جنده ليستطلع أحوالهم ويكتشف استعداداتهم. ولقد استعرض سيف الدولة جيشه فكان بهاء هذا الجيش وجماله، رغم كثرة عدد الجند وشجاعتهم.

(٣) التجافيف، الواحد تجفاف: ما جال به الفارس من سلاح وآلة تقيه الجراح، وقد يرتديه الإنسان أيضاً. الطود: الجبل الشاهق العظيم. الأيهم: الذي لا يُهتدى فيه. يصف الشاعر مسير للأمير وسط جيشه من الفرسان، فقد شكّلوا منظراً بديعاً، فبدوْا جبلاً شامخاً وسط بحر هائج من أسلحة تُضاحك نور الشمس، ولكثرة تعرّجه وتشعّبه فلا يهتدى إلى طرقه. إنه موكب عظيم يتقدّمه أمير عظيم أيضاً.

(٤) الأشتات: المتفرّقة. جيش عرمرم سدّ الآفاق، فإذا به يسدّ الفرج بين تلك الجبال التي تشغل الصورة، فإذا بتلك الجبال تتقارب وتنتظم فتأتلف السهول والوديان مع تلك الجبال لكثرة الجيش عدّة وعدداً.

(٥) الأسنة: أطراف الرماح. الإعجام: التنقيط. يُتابع الشاعر رسم تلك الصورة، يُحيط الأمير جيش من الفتيان قد جرّبوا الحروب، فبدت جراحات على وجوههم؛ إنه صكّ البطولة، فإذا بآثار الضرب تبدو سطوراً ممتدّة بينما بدا الطعن إعجاماً لملحمة بطولية تُقرأ سطورها بحروف المجد والفخار للأمير وجيشه.

يَـمُـدُّ يَـدَيْـهِ فـي الـمُـفَـاضَـةِ ضَـيْـغَـمٌ
وَعَـيْـنَـيْـهِ مِـنْ تَـحْـتِ الـتَّـرِيـكَـةِ أَرْقَـمُ (١)
كَـأَجْـنَـاسِـهَـا رَايَـاتُـهَـا وَشِـعَـارُهَـا
وَمَـا لَـبِـسَـتْـهُ وَالـسِّـلَاحُ الْـمُـسَـمَّـمُ (٢)
وَأَدَّبَـهَـا طُـولُ الـقِـتَـالِ فَـطَـرْفُـهُ
يُـشِـيـرُ إلـيْـهَـا مِـنْ بَـعِـيـدٍ فَـتَـفْـهَـمُ (٣)
تُـجَـاوِبُـهُ فِـعْـلاً وَمَـا تَـعْـرِفُ الْـوَحَـى
وَيُـسْـمِـعُـهَـا لَـحْـظـاً وَمَـا يَـتَـكَـلَّـمُ (٤)
تَـجـانَـفُ عَـنْ ذَاتِ الْـيَـمِـيـنِ كَـأَنَّـهَـا
تَـرِقُّ لِـمَـيَّـافَـارِقِـيـنَ وَتَـرْحَـمُ (٥)
وَلَـوْ زَحَـمَـتْـهَـا بِـالْـمَـنَـاكِـبِ زَحْـمَـةً
دَرَتْ أَيَّ سُـورَيْـهَـا الـضَّـعِـيـفُ الْـمُـهَـدَّمُ (٦)

(١) المفاضة: الدرع الواسعة. الضيغم: من أسماء الأسد. التريكة: البيضة من الحديد. الأرقم: الحيَّة الذكر، وهي من أخبث الحيَّات. يصف الشاعر الأمير وقد تسربل بالحديد، إنه يرتدي المفاضة تلك الدرع الواسعة لتسمح له بحرّية الحركة، فإذا حرّك يديه، فقد بدا أسداً فتكه عظيم في عدوّه، ومن مميّزاته أنه يبدو متيقّظاً كالحيَّة الرقطاء، لا يغفل عمَّا يدور في ميدان المعركة ينتظر اللحظة المناسبة ليقضي على عدوّه ويقطف ثمار النصر.

(٢) الشعار: العلامة في الحرب. المسمّم من الأسلحة: ما سُقي سمًّا، يُنوّه الشاعر بانتساب وأصالة تلك الخيول، إنها عربية الأصول والمنشأ، وليأتلف المنظر، فحتى السلاح والشارات والرايات والملابس عربية صناعة وشكلاً كذلك؛ وهذا من دواعي اعتزاز الشاعر بعروبته.

(٣) و (٤) الطرْف، بسكون الراء: النظر، يُردف الشاعر كلامه ليُتمّ الصورة لتلك الخيول؛ لقد أدّبها وربّاها طول خوضها الحروب، فتآلفت مع فرسانها، حتى كان بينها وبينهم تفاهم، لذا فتكتفي لمحة سريعة حتى تستجيب لرغبة فارسها وتأتمر بأمره، فيكفيها أن تلحظ حركته حتى دون أن تسمع صوته أو الوحى، ذلك الصوت الخفي الذي قد ينبعث من الفارس.

(٥) و (٦) التجانف: الميل. ميافارقين: بلد من أعمال ديار بكر. يتحدّث الشاعر عن =

عَـلَـى كُـلِّ طَـاوٍ تَـحْـتَ طَـاوٍ كَـأَنَّـهُ
مِـنَ الـدَّمِ يُـسْـقَـى أَوْ مِـنَ الـلَّـحْـمِ يُـطْـعَـمُ(١)
لَـهـا فِـي الْـوَغَـى زِيُّ الْـفَـوارِسِ فَـوْقَـهَـا
فَـكُـلُّ حِـصَـانٍ دَارِعٌ مُـتَـلَـثِّـمُ(٢)
وَمَـا ذَاكَ بُـخْـلاً بِـالـنُّـفُـوسِ عَـلَـى الْـقَـنَـا
وَلَـكِـنَّ صَـدْمَ الـشَّـرِّ أَحْـزَمُ(٣)
أَتَـحْـسَـبُ بِـيـضُ الْـهِـنْـدِ أَصْـلَـكَ أَصْـلَـهَـا
وَأَنَّـكَ مِـنْـهَـا؟ سَـاءَ مَـا تَـتَـوَهَّـمُ(٤)

= سلوك تلك الخيول؛ إنها تتجانف أن تطأ أرض ميافارقين وتدوس ترابها لأنها تضمّ جدث والدة سيف الدولة. وتحتضن قبرها، فكيف لو أنها سارت بجانبها أو زاحمتها بمناكبها، أو لو زحمت ميافارقين الخيل بجدرها؟ عندئذٍ يتكشف لها أن أسوارها لا تستطيع مزاحمة تلك الخيول القوية، فلا بدّ لها والحالة هذه أن تنهار تلك الأسوار.

(١) الطاوي: الخميص الجوف. يُردف الشاعر وصفه لتلك الخيول تتميماً لرسم الصورة التي هي عليها. ثمّة فارس أنهكه الجوع، أخمص البطن يمتطي فرسه الضامرة يطلب الأعداء بلا خوف أو وجل يقتحم عليهم ديارهم فيمتصّ دماءهم ويأكل لحومهم، فحتى تلك الخيول تُشارك فرسانها في الاستماتة في طلب الأعداء رغم ضمورها وكأنها تتغذّى ذاتياً فتسقى من دمها وتأكل من لحمها، شأنها في ذلك شأن فرسانها.

(٢) و (٣) ورد البيتان التاليان في: الوساطة بين المتنبي وخصومه: ١٧٠. الوغى: الحرب. الدارع: الذي يلبس الدرع. يُتابع الشاعر وصف تلك الخيول، فقد حصَّنها فرسانها فألبسوها التجافيف مخافة إصابتها بسوء؛ فكل حصان ألبس درعاً ولثاماً أرسل على وجهه من حديد، ولقد تسربل الفرسان بالدروع الحديدية أيضاً، وليس ذلك جبناً، بل إنه احتراس، والاحتراس واجب شرعاً، ومقارعة الشرّ لا تكون إلّا بمقارعته، إنه من باب الحيطة والحذر، ومع ذلك، فالقضاء لا يردّه شيء.

(٤) تشابهت الأسماء، فالسيوف الهندية يسأل الشاعر إذا كانت تعتقد أن سيف الدولة مجبول من طبيعة حديدية، فرغم أنها جليلة الاحترام، إلّا أنها لا تقوم بنفسها بل بمن يستعملها، ثم إن مادتها حديدية لا تُحسّ ولا تعقل، وسيف الدولة على العكس من =

إِذَا نَحْنُ سَمَّيْنَاكَ خِلْنَا سُيُوفَنَا
مِنَ التِّيهِ فِي أَغْمَادِهَا تَتَبَسَّمُ(١)
وَلَمْ نَرَ مَلْكاً قَطُّ يُدْعَى بِدُونِهِ
فَيَرْضَى وَلَكِنْ يَجْهَلُونَ وَتَحْلُمُ(٢)
أَخَذْتَ عَلَى الْأَرْوَاحِ كُلَّ ثَنِيَّةٍ
مِنَ الْعَيْشِ تُعْطِي مَنْ تَشَاءُ وَتَحْرِمُ(٣)
فَلَا مَوْتَ إِلَّا مِنْ سِنَانِكَ يُتَّقَى
وَلَا رِزْقَ إِلَّا مِنْ يَمِينِكَ يُقْسَمُ(٤)

= ذلك إنسان اكتملت لديه معاني الإنسانية في أجلى صورها، إنه هو من يُمسك السيف بيده، وبيده يُصبح للسيف معنًى ووجود وفاعليّة، ولو فكرت السيوف، والسيوف لا تعي، ولا تفكّر لكان وهمها باطلاً، لا أصل له من منطق.

(١) ورد البيت في: أمالي ابن الشجري ٢: ٣٢٢. يُخاطب الشاعر ممدوحه؛ فتسمية السيوف بالسيوف رفع لمعنويّاتها لأنها شاركت الممدوح اسمه فتاهت وفخرت وتبسّمت لذلك لأنها شاركت عظيماً باسمها، فإذا بها تعتزّ بما لديها ممّا تتميّز به عن سائر أنواع السلاح، فابتسامتها تحمل فضلاً عن ذلك سخرية واحتقاراً لكل سلاح ممّا عداها.

(٢) يُخاطب الشاعر ممدوحه بأن الملوك يدعون بما يجسّدون من قيم وأخلاق، إنهم يتّخذون من الألقاب على قدر مكانتهم وقدراتهم، لذا فليس كل منهم يستحقّ تسميته بسيف، والمشكلة أن الناس يجهلون قدر الممدوح، فيتندّرون إما حاسدين وإما جاهلين، فإذا بالممدوح يعفو ويغفر لهم جهلهم وزلّاتهم.

(٣) يروى «الأعداء» بدلاً من «الأرواح». الثنية: طريق العقبة. يذكر الشاعر سلوك الممدوح؛ فهو مع الأعداء قوي صلب لا يرحم، فقد سدّ على أعدائه طرق عيشهم وضيّق عليهم سبلها، فلا يستطيعون العيش بسلام، فقد أزال عن أجسادهم أرواحها، وهو في المقابل يُعطي من شاء من رعيته ويمنع من شاء أيضاً.

(٤) يُردف الشاعر بأن الموت بيد ممدوحه، فرمحه يفتك بمن أراد من عدوّه، ومن أراد الحياة، فعليه مسالمته فتُكتب له الحياة، وفي الجانب الآخر من سلوكه أنه يجود بماله، فيُمناه تُقسّم العطايا على مستحقيها بنفس طيبة وأريحيَّة مجبولة على الجود.